الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

شعر الحكمة في العصر العباسي الثاني

"المتنبي أنموذجا"

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطلبة:
* **تروش العطرة**
* **خلاف شهرزاد**

إشراف الأستاذ:
* **بن ديب منير**

السّنة الجامعية:2013/2012

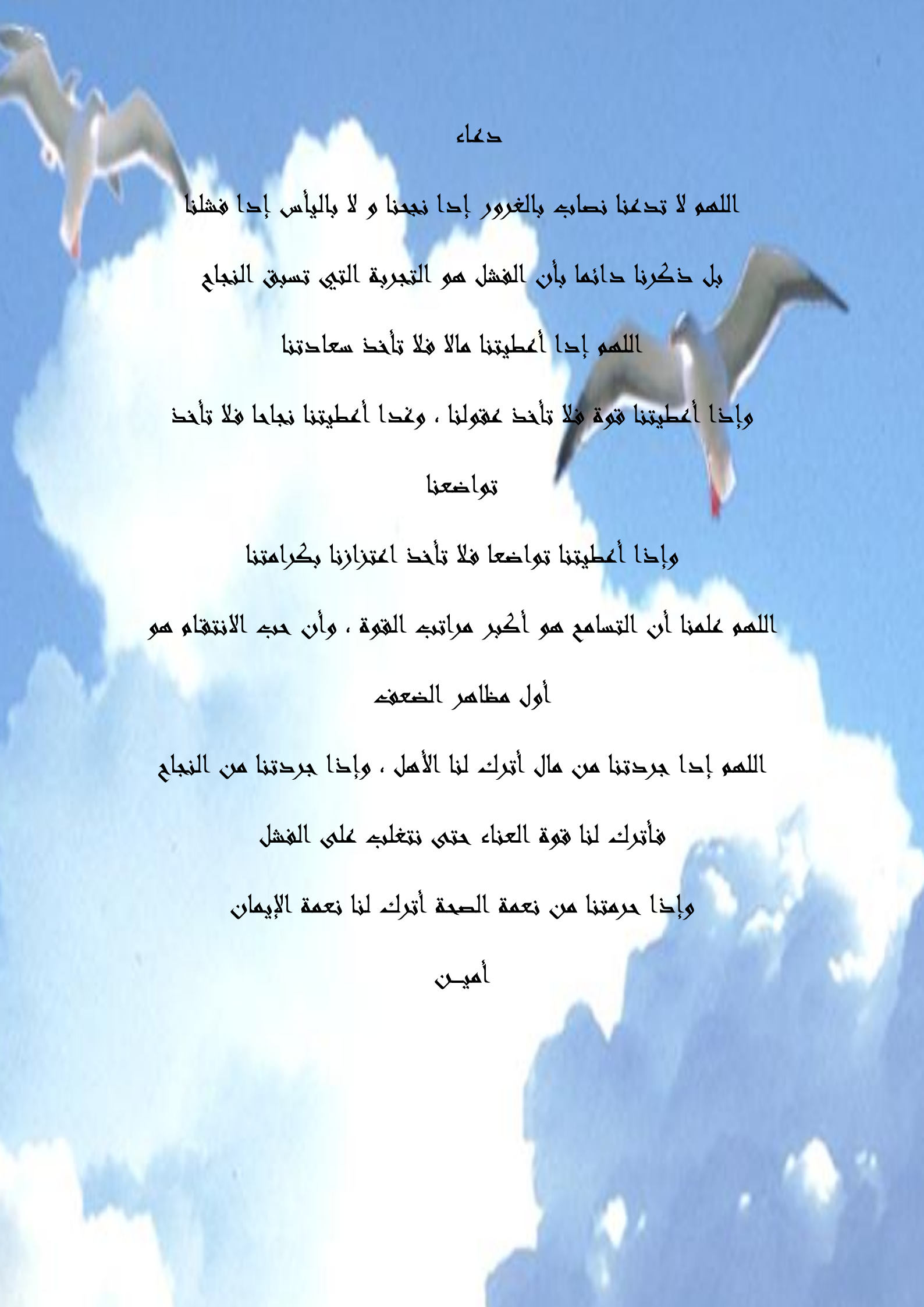

دعاء

اللهم لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا فشلنا

بل ذكرنا دائما بأن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا مالا فلا تأخذ سعادتنا

وإذا أعطيتنا قوة فلا تأخذ عقولنا ، وغدا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ

تواضعنا

وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا

اللهم علمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة ، وأن حب الانتقام هو

أول مظاهر الضعف

اللهم إذا جردتنا من مال أترك لنا الأمل ، وإذا جردتنا من النجاح

فأترك لنا قوة العناء حتى نتغلب على الفشل

وإذا حرمتنا من نعمة الصحة أترك لنا نعمة الإيمان

أميـن

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرحيم

"إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه وحتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس للخير".

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميزنا بالعقل الذي ينير طريقنا، الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإدارة والعزيمة على إتمام عملنا نحمدك يا رب حمدا يليق بمقامك وجلالك العظيم.

نتقدم بخالص الامتنان والتقدير والشكر الجزيل إلى الأستاذ " بن ذيب منير"

الذي تفضل علينا بالإشراف على هذا العمل ولتمامه والذي لم يبخل علينا بما لديه وفقه الله لما يحبه ويرضاه كما ولا ننسى أن نتقدم بالشكر لكل أساتذة المركز الجامعي لميلة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين وبعد:

عندما يتحدث إنسان معمر جرب الحياة براحتها ومتاعبها أو فيلسوف خارق أو سياسي محنك أو بطل مغوار أو مثقف طموح، فكثيرا ما تصدر منه مقولة ذكية أو فكرة مضيئة يستفاد بها، وتنساب في أذن سامعها كما ينساب الماء في التربة فتؤثر بالإيجاب في سلوكه وأخلاقه ومعاملته و أدبيته، وتحوله إلى إنسان ذو نظرة ثاقبة اتجاه الحياة.

ولعل من أهم هؤلاء نقشت أسماؤهم على صفحات التاريخ الطويل بأحرف من ذهب الشاعر العظيم الذي تشهد له الأيام بتميزه عن باقي الشعراء، فهو الشاعر الغني عن التعريف "أبو الطيب المتنبي" الشاعر العملاق الذي أخذت عبقريته بألباب الناس وظل حديث معاصريه ومن جاؤوا بعده لألف سنة أو تزيد، ففي شعره متعة للقارئ، وذلك لكثرة ما فيه من موارد الحكمة ومضارب الأمثال الشائعة على الأقلام والألسنة.

ولعل هذا هو السبب الذي جعلنا نختار هذه الشخصية وخاصة الحكمة في شعرها موضوعا لهذا البحث لأنه إنسان صاحب حكمة سائرة استفاد منها العديد نظرا لكونها حوصلة تجاربه في الحياة، فكانت آراؤه شاملة لجميع جوانب الحياة فشملت مظاهر الكون من خير وشر وكرامة وعزة وموت وحرب وأخلاق...إلخ.

وقد كان هدفنا من هذه الدراسة هو اكتشاف هذا الرجل وكذا معرفة أشعاره التي تزخر بالحكمة حيث يصعب حتى تحديدها في شعره.

بالرغم من أننا قد سبقنا إليه بلا شك، غير أن رغبتنا في معرفة الأكثر عن هذا الشاعر دفعنا إلى محاولة دراسة هذه الشخصية بطريقة مغايرة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على الخطة التالية:

بدأناها بمدخل تناولنا فيه:

– **حياة المتنبي:** تطرقنا في حياته إلى مولده، نسبه، نشأته، وثقافته وقد تطرقنا أيضا إلى رحلاته والتي كانت لها أثر كبير في تطور شعره، ثم تحدثنا عن وفاته.

– **عصره:** وتناولنا فيه التعريف بالعصر الذي عاش فيه المتنبي وهو العصر العباسي الثاني، وتطرقنا إلى تأثيره على حياة وفكر المتنبي، هذا فيما يتعلق بالمدخل.

أما **الفصل الأول** والذي يضع ثلاث مباحث:

المبحث الأول: وتناولنا فيه تعريف الحكمة لغة واصطلاحا، ثم تطرقنا إلى مفاهيم أخرى للحكمة في النثر والشعر.

المبحث الثاني: وتناولنا فيه مفهوم الحكمة عند أبو الطيب المتنبي

المبحث الثالث: وتناولنا فيه دراسة إحصائية لوجود الحكمة في شعر المتنبي وذلك من خلال قرائتنا لديوانه ومحاولة استخراج الأبيات التي تحتوي على الحكمة.

أما **الفصل الثاني:** فيتمثل في الجانب التطبيقي والمتكون من مبحثين،

المبحث الأول: وتناولنا فيه تجليات الحكمة في شعر المتنبي والتي تمس مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والفكرية.

المبحث الثاني: وتناولنا فيه مجموعة من الآراء حول حكم المتنبي والمتمثلة في مظاهر فكر المتنبي والأحكام الفنية لشعر الحكمة عنده.

لنصل إلى الخاتمة التي توصلنا فيها إلى نتيجة أن المتنبي كان شاعرا حكيما حيث زخرت أشعاره بطابع الحكمة المستقاة من حياته اليومية ثم نأتي في الأخير إلى قائمة المصادر والمراجع المعتمدة فالفهرست.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعمد إلى الملاحظة والتحليل والاستنتاج، وهي ثلاثية أفادتنا في الوصول إلى أهم المحطات الدلالية التي زخر بها النص الشعري عند المتنبي.

وطبعا وككل باحث قد واجهتنا مجموعة من المصاعب والمتمثلة في قلة المصادر والمراجع الملمة بهذا الموضوع، بالإضافة إلى ضيق الوقت، ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا: ديوان المتنبي الذي اعتمدنا عليه في استخراج الأبيات التي تناولت الحكمة، كما اعتمدنا على بعض الشروح لديوانه: فشرح ديوان أبو الطيب المتنبي لمصطفى سبيتي، والعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لناصف اليازجي، وهذا بالرجوع لبعض الكتب التي وجدنا في طياتها حديثا عن المتنبي وأعماله، منها: الصبح المتنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي، المثالية في الشعر العربي لموهوب مصطفاوي، والشعر العباسي قضايا وظواهر لعبد الفتاح نافع...وغيرها.

وفي الأخير نسأل الله أن نكون قد وفقنا في تناولنا هذا الموضوع، فإن وفقنا فمن الله وإن أخفقنا فحسبنا أننا قد بذلنا جهدنا لإنجاز هذه المذكرة المتواضعة، كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه الرسالة من قريب أو بعيد وبخاصة إلى أستاذنا الفاضل الذي أثقلنا كاهله بإشرافه على رسالتنا.

مدخل

مدخل

المبحث 1 : حياة المتنبي

- مولده
- نسبه
- نشأته وثقافته
- رحلاته
- وفاته

المبحث 2 : عصر المتنبي

حياة المتنبي:

أ. مولده: ولد أبو الطيب بن الحسين بن عبد الصمد الملقب بالمتنبي بالكوفة في حي من أحيائها يدعى كندة سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة (0303) [1]

ب. نسبه: ينسبه بعضهم إلى الحي الذي ولد فيه فيدعوه المتنبي الكندي، وكندة هذه هي قبيلة إمرئ القيس، غير أنه ليس منها هو جعفي القبيلة.[2]

وذلك مما ثبت عنه والده أنه كان يقول: « أن أصله من جنوبي الجزيرة العربية، وقد لقب بالحسين الجعفي لادعائه الانتساب إلى جعفة وهي بطن من سعد العشيرة ابن مدجع التي استقرت جماعة منهم عن الفتح الإسلامي في العراق.[3]

فقد كان غامض النسب ومما يؤيد ذلك ما وراء البديعي في الصبح المن....إذ قال: « إني أنزل دائما على قبائل العرب وأحب أن يعرفوني خفية أن يكون لهم في قومي تره».[4]

وكان والده يشتغل سقاء، ومما يثبت هذا بيتان شعريان هجاه فيهما أحد الشعراء قائلا:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشية

عاش حينا يبيع في الكوفة بماء وحينا يبيع ماء المحيا.[5]

ج. نشأته وثقافته: عاش المتنبي طفولة فقيرة ينعم فيها بالدلال "ترف المحرومين" فنجد له أبياتا يستحضر فيها حلاوة تلك الساعات الخالية من هموم العيش:

---

[1] موهوب مصطفاوي: المثالية في الشعر العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 694.

[2] المرجع نفسه، ص694

[3] العمدة: ابن رشيف

[4] البديعي: الصبح المنبي، ط1، دار المعارف القاهرة، 1963م، ص:20.

[5] ابن خليكان: وفيات الأعيان، ط1، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ج1، ص:124.

دردر الصباء أيام تجر ير ذيولي بدار أثله عودي[6]

كان المتنبي شيعيا وذلك بحكم انحداره من جنوبي الجزيرة العربية، كان في صغره يتلقى دروس العلوية شعرا ولغة وإعرابا مع أبناء الأشراف بالكوفة، ثم انتقل إلى الشام أين التقى بالكثيرين من أعلام الأدب واستفاد منهم، ونذكر من بينهم: الزجاج، ابن السراج، أبو الحسن الأخفش، أبو بكر محمد بن دريد، أبو على الفارس، ...وغيرهم تخرج على أيديهم فكان نادرة الزمان في صناعة الشعر، ولو بات من يجاريه في أدبه وعلمه.[7]

خرج إلى البادية وصاحب الأعراب وعاد بعد سنتين إلى الكوفة بدويا قحا.[8]، وهذا ما جعله متمكنا من اللغة العربية، ثم سمت نفسه إلى العلوم الأعجمية منذ صغره، إذ اتصل بأحد المتفلسفة بالكوفة يدعى "أبا الفضل" فأخذ عنه الفلسفة والتعاليم الباطنية فاستطاع بذلك أن يطلع على مذهب الفرامطة الذي نشط في عصره.[9]

ج. رحلاته: كانت لرحلات المتنبي أثر في حياته وشعره بصفة خاصة حيث قال فيها الكثير من أشعاره، فقد كانت له زيارات لأماكن متعددة من البلدان العربية حيث زار كلا من الشام، ومصر والعراق وفارس، وفي كل بلد من هذه البلدان كانت له فيها صبحات شعرية، قص الشام بعد إطلاق سراحه مباشرة، فمدح أمراءها وأشرافها ومن بينهم الأمير " أبي محمد الحسن بين عبيد الله بن طغج" بقصيدة مطلعها:

أيا لا نمي أنت كنت وقت اللوائع علمت بما بي بين تلك المعالم[10]

---

[6] ناصف اليازجي: العرف في شرح ديوان أبي الطيب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنش بيروت، 1981، ص:70.

[7] مصطفى سبيتي: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، 2000م، ص4

[8] البديعي: الصبح المنبي: ط1، دار المعارف القاهرة، 1963م، ص20.

[9] موهوب مصطفاوي: المرجع السابق، ص696.

[10] المرجع نفسه، ص110.

ثم اتصل بأبي العشائر الذي قدمه إلى سيف الدولة، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة.[11]، فحسن موقعه عند سيف الدولة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقه سنة ست وأربعون وثلاثمائة، متجها نحو مصر حيث مدح هناك كافور الأخشيدي طمعا في تولي قطعة من الصعيد بقوله:

إن لم تنط بي ضاحية أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب.[12]

فلما لم ينل ما كان يصبو إليه فر من مصر وكان ذلك يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة، وبعد تطواف طويل وصل إلى الكوفة، وكان ذلك سنة واحد وخمسين وثلاثمائة ثم توجه إلى

مدينة السلام.[13] فحدثت له حادثة مع " الوزير المهبلي" الذي ترفع المتنبي عن مدحه ثم خرج من بغداد قاصدا فارس، حيث مدح هناك "ابن العميد" الكاتب المشهور ووزير ركن الدولة، ثم مدح "أبا شجاع" عضد الدولة بشيراز، ثم استأذنه في المسير عن فارس.[14]

وفاته: في أثناء عودته إلى بغداد كان قد ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال، فلما فارق فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة إلا أنه اعترض سبيله رجل يقال له فاتك بن أبي جهل بن فارس بن بداد.[15] "خال ضبة" الذي هجاه المتنبي بقوله:

ما أنصف القوم ضبة وذمة الطرطبة

[11] المرجع نفسه، ص110.

[12] المرجع نفسه، ص 112.

[13] موهوب مصطفاوي: المرجع السابق، ص127-128.

[14]المرجع نفسه، ص 714.

[15] البديعي: المرجع السابق، ص170-171.

فأفحش المتنبي في هجاء ضبة ووالدته، وقد ورد هذا أيضا عند صاحب الصبح المتنبي في قوله " فيقال أن فاتكا داخلته الحمية لما سمع ذكرها بالقبح في هذا الشعر، وما للمتنبي أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاما، فكان من سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وغلامه وذهاب ماله".[16]

2- عصره: كان العصر الأموي عصرا أدبيا بكل ما في الكلمة من معنى، فقد ظل الشعر فيه نموذجا يحتدي الشعر الجاهلي، وظلت اللغة صورة عن لغة القدماء، ووجد المجددون أو الذين حاولوا التجديد أنفسهم محصورين ضمن قيود مفروضة تمجد القديم وتعادي الحديث، وتسلطت المدرسة اللغوية والنحوية بمفاهيمها على الشعر وتحكمت بالشعراء فانعدم الذوق أو كان انعدام الحرية والثقافة وظلت الثقافة العربية في حلقة مفرغة فجاء الشعر ضمن قوالب مكررة جامدة متشابهة.[17]

زالت الدولة الأموية بمقتل آخر خلفائهم مروان بن محمد في معركة الزاب عام 132 هـ ، واعتلى العباسيون عرش الخلافة بحد السيف وكان ذلك إيذانا بتطور عظيم في حياة الأمة الإسلامية، إذ قامت الدولة الجديدة على وفق أسس ومبادئ تختلف عن قرب أو بعد مما كنت عليه من قبل.[18]

جاء العباسيون إلى الحكم والأمة أهواء وشبع، ففريق يحن إلى الماضي ويوجعه أن تغرب شمس الأمويين، وفريق يرى أن استئثار العباسيين بالخلافة العباسية بثقة وأمل، فهم الذين أعانوها على الوصول إلى الحكم.[19]

---

[16] المرجع نفسه، ص172.

[17] عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص9.

[18] هادي نهر: مع المتنبي شعر الحماسة والحكمة، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص31.

[19] هادي نهر: المرجع السابق، ص31.

وما كان العصر العباسي يطل حتى كان ثورة في كل شيء، فقد كان عصرا أمميا اختلطت فيه الثقافات وامتزجت الحضارات وأحدث هذا الامتزاج الحضاري ثورة في الاجتماع والسياسة والاقتصاد وكان لا بد للغة أن تتطور وللشعر أن يزدهر ليواكب تطور العصر ومفاهيمه الجديدة، وإذا كان العصر الأموي قد قيد اللغة والشعر، فالعصر العباسي منح الشعراء الحرية فانطلقوا يعبرون عن أهوائهم ومشاكل عصرهم دون خوف فعبروا عن قضايا وظواهر تتماشى وروح العصر وما تفاعل فيه من مذاهب وتيارات.[20]

وقد كانت تلك الحرية العقلية التي منحتها الدولة العباسية لمواطنيها على اختلاف أصولهم وثقافتهم، السبب في تشجيع كثير من المثقفين لأن يبوحوا بآراء ومعتقدات تتنافى وروح الإسلام وكانت حركة الزندقة أكثرها تطرفا. وقد تركوا تأثيرا واسعا في الثقافة فاعتنق أفكارهم فلاسفة وشعراء وعلماء وجاهروا بها ثم تستروا عليها، عندما أخذت الدولة بمطاردتهم وإعدامهم أو زجهم في السجون. [21]

وفي عام (138 هـ) يعلن عبد الرحمان بن معاوية تأسيس دولة بني أمية في الأندلس ويشعر الساسة العباسيون بالخطر، فيتجهون إلى الفرس يحتكون بهم، ويتخذونهم وزراء وولاة وقادة للجيوش وينقلون الخلافة إلى بغداد بجانب المدائن عاصمة الفرس القديمة وهنا يصبح الفرس عماد الدولة.

وفي مطلع القرن الثالث بدأ نفوذ الفرس يضعف إذا كان من سياسة المعتصم (218-227 هـ) أو يستكثر من الأتراك ليضرب الفرس، وجرى من بعده على نهجه مما أدى إلى استبداد هؤلاء الأتراك بالخلافة وسيطرتهم على مرافق الحياة العامة، وتجرئهم على الخلافة وإطاحتهم بهيبتها، وضربهم بسلطان الخليفة جانب.

---

[20] عبد الفتاح نافع: المرجع السابق، ص9.

[21] المرجع نفسه، ص15.

وفي أواخر هذا القرن بدأ صراع مرير بين الفرس والأتراك طمعا في السلطان والإقطاع، وكانت بغداد ساحة لهذا الصراع، في الوقت الذي انصرف فيه الساسة العرب إلى أمورهم الدنيوية، وملذاتهم الذاتية، تاركين الأمة نهبا لأطماع الطامعين، وعرضة لغارات المغيرين، وموطنا خصبا للاضطرابات السياسية والفتن الدينية والمذهبية، وما أن يحل القرن الرابع هجري وهو القرن الذي عاش فيه المتنبي وشهد أحداثه حتى كانت الخلافة العباسية مقطعة الأوصال تعيش وسط صراع حاد بين نفوذ الفرس ونفوذ الترك، وتوغلهما في مرافق الحياة جميعا، وشهد عنفهما واستبدادهما وما أعلموه في الخلافة من قتل وتشريد وخلع.[22]

والناظر لخريطة الدولة الإسلامية في عصر المتنبي يجدها أوطانا سياسية ودويلات مشتة متباعدة الأهواء والاتجاهات تتصارع مع بعضها سرا وعلانية من أجل البقاء، ففي تركستان دولة سامانية (261–389 هـ) وفي طبرستان دولة زيانية (316–434 هـ) وفي أفغانستان والهند دولة غزنونة (351–582 هـ) في حين استقل البوبهيون بفارس عام(320 هـ) فالأخشيد بمصر عام 323 هـ، ثم تغلبت البوبهيون على بغداد عاصمة الخلافة عام 334 هـ بعد أن رحل السلاجقة [23]

وقد حكم كل جنس من هؤلاء رقعة من الإمبراطورية الممزقة، وشف كل حكم منها عن طبع الحاكم وخصائصه فكان في الدولة الواحدة بعد تزايل أطرافها ألوان من السياسة والأدب متعددة.[24]

ولقد كان من دواعي انقسام وتحلل أوصال الأمة هو تسلط النظام الاقتصادي الجائر وبنية المجتمع الإقطاعية، فقد انتهت الثورة إلى أيدي المستبدين بالحكم وانتفخت بطونهم من أموال الشعب الجائع، فالسيوف مصلته على رقاب الناس في حياته الأموال التي تنفق في البذخ

[22] ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، حوادث 324.

[23] هادي نهر: المرجع السابق، 32.

[24] محمد كامل: الأدب الغربي في العصر العباسي الثاني، مصر، 1964، ص29.

والترف بطريقه تربوا على حد الخيال، وصارت السلطة مطلبا لذيذا عزيزا بوصفها، تجسيدا واقعيا للملكية والحكم، وتحديدا ميثافيزيقا للمجد والقوة والقهر والتقوى والتعبد، وقد حدث تحول جذري في مفهوم السلطة إذ أضحت اندماجا بين الملكية والحكم، مع تمنع المحاكم الملاذ النفسية التي يعطيها الملك للحاكم الإسلامي.

وأصبح الفرد بالغ الثراء في ظل الخلافة أو الإمارة أو الإمامة لا يستطيع أن ينمي ثروته أن يطلب ود الحكام وإرضائهم والدخول في عصبيتهم أو حاشيتهم بالصدايا والعطايا والملق والرياد والتزلف والسكوت عن الزيف والظلم، إذ أن الحكم هو الأساس الحقيقي للملكية، وهكذا تجردت السلطة في ظل أكثر الأنظمة الحاكمة آنذاك وارتدت ربا ميثافيزيقيا، وكما تسعى المادة نحو الصورة في ميثافيزيقا أرسطو لبلوغ المرام والكمال. فإن على الفرد آنذاك إذا أراد الحرية واللذة والمجد ولكمال أن يسعى نحو السلطة ويتحد أو يمتزج بها...[25]

وخلاصة القول أن هذه الظروف –والتي ذكرناها سابقا– كان لها أثر كبير في حياة الكثير من الأدباء والشعراء الذين ارتبط فنهم بحياتهم ارتباطا وثيقا، وهو أيضا أحد الشعراء الذين اضطربت بهم الحياة فاضطربت نفوسهم تبعا لاضطرابها، فتجربته تنبع من أعماق كيانه يستبطن ذاته ويصورها بأكثر دقائقها ناظرا إلى المجتمع من خلال حياته الخاصة وتجاربه. فقد كانت حياته صراعا ونضالا ومعاناة منذ نعومة أظفاره. انطلق من ذلته الفردية إلى الذات الاجتماعية يتغنى أحداث البيئة والعصر ويتغنى أحزانه وأفراحه وأمانيه فعاش في صراع دائم بين الواقع والمثال، وكان لحياته المضطربة أثر كبير في توجيه عاطفته، فأخذ يبحث في داخله وينقب في أعماقه ساعيا نحو الأمثل، ومن النجاح والفشل والأمل واليأس، والحزن والسرور انبثق لديه الفن، فكان فنه صورة لنفسه المضطربة المتناقضة القلقة التي لا تستقر على حال. فمن شقائه وألمه ومن إخفاقه وفشله ومن اصطدام آلامه باليأس خلق لنا الفن، فكان طبيعيا أن تنعكس حالة المتنبي النفسية على شعره.

[25] ينظر: المتنبي وسقوط الحضارة: د، عبد السلام نور الدين، بحوث مهرجان المتنبي، بغداد، 1977.

الفصل الأول

الفصل الأول:

المبحث 1:

أ. مفهوم الحكمة

- لغة

- اصطلاحا

ب. مفاهيم أخرى للحكمة

- في النثر

- في الشعر

المبحث 2: مفهوم الحكمة عند أبي الطيب المتنبي

المبحث 3: شعر الحكمة عند المتنبي (دراسة إحصائية).

الفصل الاول:

المبحث الأول:

1-مفهوم الحكمة:

أ- لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور أن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وهو الحكيم له الحكم، سبحانه وتعالى. قال الليث: الحَكَمُ الله تعالى.

وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى الحَكَمُ والحكيمُ وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي. فهو فعيلٌ بمعنى فاعل. أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها. فهو فعيلٌ بمعنى مُفعلٍ. وقيل الحكيمُ ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يُحسِنُ دقائق الصناعات ويتقنها: حكيمٌ والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم.

الجوهري: الحُكم الحكمة من العلم، والحكيمُ العالمُ وصاحب الحكمة، وقد حَكُمَ أي صار حكيماً.

قال النمر بن نولي:

وأبغض بغيضك بغض رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

أي إذا حاولت أن تكون حَكِيماً.[26]

وقد جاء في معجم الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد اسماعيل إبراهيم حكم بالأمر وللرجل أو عليه وبين الناس: قضى وفضل وحكم حكمه. صار حكيما، وحكمه: أقامه حاكما. وحكمة في الأمر: فوض إليه الحكم فيه. حاكمه خاصمه ودعاه إلى الأحكام.

[26] اين منظور: لسان العرب، ط1، دار صبح وإديسوفت، بيروت، 2006، 254.

وأحكم الشيء: أتقنه. وتحكم في الأمر: قضى فيه برأي نفسه.

واحتكم في الأمر: تمكن وصار محكما ومتقنا.

والحكم: القضاء، والجمع أحكام. والحكم بفتحتين الحاكم.

والحكمة: العلم مع العمل والعدل، أو هي صواب الأمر وسداده.

والحكيم: صاحب الحكمة، والحكيم: من أسماء الله الحسنى بمعنى ذي الحكمة البالغة المنظوية على إتقان التدبير وإحسان التقدير.

وآيات محكمات: آيات بينات واضحة الدلالة من الإحكام بمعنى الإتقان.[27]

وكذلك نجد هذه الكلمة قد وردت عند الجوهري، حيث يرى أن الحكم والحكمة من العلم، والحكيم العالم وصاحب الحكمة وقد حكم أي صار حكيما.[28]

اصطلاحا: وهي عبارة موجزة، قالها إنسان ذو فكرة صائبة ونظرة عميقة وتجربة وخبرة ويقصدها غالبا توجيه الإنسان إلى أسلوب طيب.

كذلك هي نوع من الشعر الموجه إلى الإنسان لهدايته وإرشاده، وكانت حكم شعراء الجاهلية بسيطة، نلمس فيها تجاربهم العلمية في الحياة، ونظرتهم إلى العالم واختلاف من حولهم.

ولقد كثرت عبر العصور لاعتماد الناس في حياتهم على التجارب واستخلاص العبرات منها. كذلك هي قول رائع يتضمن حكما سليما به يقال على لسان رجل ذي تجربة وخبرة.

ونجد أن الحكمة استمرت عند العديد من الشعراء في مختلف الفنون في ثنايا قصائدهم كأبي نواس والمتنبي وبشار بن برد...

---

[27] :محمد اسماعيل إبراهيم: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ط2، دار الفكر العربي، ص142.

[28]:الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، تقدير الشيخ عبد الله العلايلي، ج1، دار الحضارة العربية، بيروت، دون تاريخ، ص 1901-1902.

نستخلص من هذا أن كلمة الحكمة هي بمثابة النصيحة التي يتفوه بها رجل ما عن تجربة ما، فهي تعبير دقيق موجز عن تجربة من التجارب الإنسانية العامة يتضمن تعبيرا لها وتصويرا لواقعها على النفس، وتنفيسا عما استبد بها من آلام.

فالحكمة إذن فيض من من نفس حساسه اكتملت فيها الأحداث وأثرت فيها التجارب، فعبرت عن واقع التجربة عليها تعبيرا إنسانيا يعكس للناس مدى تأثرها وإنفعالها واستجابتها وتعليلها للأحداث تعليلا يقدره الناس ويرتضونه ويسلمون به، ويرونه صدى لما في نفوسهم وتصويرا لاستجابتهم حتى كأن الحكيم يعبر عن لسانهم فيترجم عما كان في خواطرهم.[29] ويرتضونه ويسلمون به، ويرونه صدى لما في نفوسهم وتصويرا لاستجابتهم حتى كأن الحكيم يعبر عن لسانهم فيترجم عما في خواطرهم.[30]

2- مفاهيم أخرى للحكمة:

أ. في النثر: قد وردت هذه الكلمة عند الكثير من الحكماء، حيث يرون أن الرجل لا يطلب حكمة إلا بحكمة عنده، ومن بينهم زياد حيث قال: "أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعملون من أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا" فإن الشاعر يقول:

اعمل بعملي ولو قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري.[31]

والحُكْمُ: العِلْمُ والفقه، قال تعالى: " وآتيناه الحُكْمَ صَبِياً" أي علماً وفقهاً، هذا ليحي بن زكريا، وكذلك قوله:

الصمت حكم وقليل فاعله

[29]محمد بن عبد الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، ط2، مصر مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ص125.126.

[30] المرجع نفسه، ص:240.

[31] أحمد بن محمد بن عبد ربه: المرجع السابق، ص240.

وفي الحديث: إن من الشعر لحكما أي أن في الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما، قيل: أراد بهما المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بهما[32]

ولم تقتصر هذه الكلمة على الحديث والقرآن وأقوال الحكماء، بل وردت في النوادر، نذكر من بينها هذه الناذرة: " يا بني رباح لا تحقروا صغيرا تأخذوا عنه فإني أخذت من الثعلب روغانه ومن القرد حكاياته، ومن النسور ضرعه، ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره، ولقد تعلمت من القمر سير البر ومن الشمس ظهور الحنين بعد الحنين"[33]

ب. في الشعر: قد وردت لفظة الحكمة على لسان الشعراء العرب نذكر منهم قول النمر بن تولي:

وأبغض بغيضك بغض رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

أي إذا حاولت أن تكون حكيما

وكذلك نجد قول النابغة:

واحكم لحكم فتاة الحي إذا نظرت إلى حمام سراع وارد التمد

وحكى يعقوب عن الرواة أن معنى هذا البيت: كن حكيما كفتاة الحي إذا قلت فأصبت كما أصابت هذه المرأة، إذا نظرت إلى الحمام فأحصتها لم تخطئ عددها.

وقال ويدلك على معنى أحكم: كن حكيما قول النمر بن تولي: إذا أردت أن تحكم يريد إذا أردت أن تكون حكيما فكن كذا.[34]

قال لبيد: أحكم الجنثي من عوراتها كل حرباء إذا أكره صل.

---

[32] ابن منظور: المرجع نفسه، ص:254

[33] أحمد بن محمد بن عبد ربه: المرجع السابق، ص 230.

[34] الجوهري: المرجع السابق، ص 1901-1902.

والجنثي: السيف، المعنى: رد السيف عن عورات الدرع وهي فرجها كل حرباء، وقيل: المعنى أحرز الجنثي وهو الزراد مساميرها ومعنى الإحكام عندئذ الإحراز.[35]

3- الحكمة عند أبي الطيب المتنبي:

جاء المتنبي ليقدم أوراق اعتماد إلى هذا الجيل الجديد في الوطن العربي.[36]

لما أجاد به في كل أنواع الشعر من مدح وغزل وفخر ورثاء ووصف وهجاء، وله في الرثاء خاصة مكانة سامية، وتشهد له بذلك مراثيه التي تعد من أفضل المراثي في الأدب العربي، على أن المتنبي الحقيقي إنما هو تلك الصورة التي ترسمها من قراءة حكمه وفهم علاقتها بالزمان، والتي تتميز برشاقة الألفاظ وأساس التعبير، فنجد هذه التجارب والنصائح في تضاعيف وخفايا قصائده متفرقة بين أغراضه المختلفة ولها علاقة بتجاربه والحوادث التي مرت به.[37] فقد وفق أبو الطيب في مجال الحكمة أيما توفيق، حتى اشتهر بين النقاد والمؤرخين للأدب باسم "المتنبي الحكيم" ولعل مبعث هذا قول "أبو الطيب" حينما سئل عن نفسه وعن أبي تمام و البحتري: "أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري".[38]

وإذا ألقينا عليها نظرة عامة وحاولنا أن نستخلص منها صورة للشاعر وجدنا فيها ألوانا مختلفة تنعكس عن شيء واحد هو نزعته الفطرية إلا أن هذه الطبيعة رغم محاولتها التعالي، إلا أنها تعود مكسورة الخاطر متذوقة مرار الزمان.

فكان للشاعر طموح كبير في الحياة-المجد- لأنه جاب الأقطار وساوى نفسه بممدوحيه من الأمراء، ولكنه فشل في سعيه.

---

[35] ابن منظور: المرجع نفسه، ص255.

[36] مجموعة من الأساتذة: نوابغ العرب "المتنبي"، دار العودة، بيروت ،لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، ص18.

[37] عيد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، ط3، مصر ، دار المعارف، 1968، ص 271.

[38] أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1969، ص:85.

عرف الحياة واختبر حقيقة المجتمع البشري، فنظم لنا حكما عالية، أدرك الناس مدى أهميتها وصحتها، فتداولتها ألسن الزمان في كل مكان، وأصبحت على مرور الأيام مثالا يردده الخاص والعام، فالمتنبي غيره سراب الدنيا فسعى وراءه، وطوى في ذلك السعي شبابه ورجولته، فإذا الدنيا سراب، وإذا السعي وراء الباطل باطل، إلا أن رغ هذا فالأقدار في صالحنا، والسراب كذلك.

لقد أغدق علينا شاعر الحكمة بنصائح صالحة لكل زمان وفي كل مكان ذلك أنها تلم بكل شأن من شؤون الحياة حلوها ومرها، وعرف بؤسها ونعيمها وأحاط بثقافتها، وعاش تجربتها ومحنها.[39]

وقد جاءت حكمة جميلة ومؤثرة مما أدى إلى انتشارها واستشهاد الناس بها في مواقف عديدة، ولعل هذا يعود إلى "ما فيها أنها أبدا تتسم بالمظهر العاطفي ذلك أنها تجربة حبه لها من العاطفة مثل ما للفكر، وأن نطاقها النفس كله.[40]

[39] زكي المحاسن: المتنبي، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ، ص108.

[40] إنعام الجندي: دراسات في الأدب العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1967، ص282.

شعر الحكمة عند المتنبي (دراسة إحصائية):

أ. حكم في الحياة:

البيت الشعري		مغزاه
كل حلم أتى بغير اقتدار	حجة لاجئ إليها اللئـام	الحلم واللؤم
في الناس أمثلة تدور حيالها	كمماتها ومماتها كحياتها	الوجود والعدم
ولا تحسبن المجد زقا وقينـ	فما المجد إلا السيف والفتكة البكر	المجد
وشيخ في الشباب وليس شيخـ	يسمى كل من بلـغ الشيبا	الهمم
والأسى قبل فرقة الروح عجـ	والأسى لا يكون بعد الفراق	لا يأس مع الحياة
وما الدهر أهل أن تؤمل عنـد	حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل	فناء الحياة
بدا قضت الأيام بين أهلهـا	مصائب قوم عند قوم فوائد	مصائب قوم عند قوم
سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها	متعنا بها من جيئة وذهوب	فوائد
وأوفى حياة الغابرين لصاحـب	حياة امرئ خانته بعد مشي	يوم لك ويوم عليك
ومن صحب الدنيا طويلا تق	على عينيه حتى يرى صنفها كذب	غدر الدنيا
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه	حريصا عليها مستهاما بها صبا	تقلب الدنيا
على قدر أهل العزم تأتي العزائ	وتأتي على قدر الكرام المكارم	الحياة غالية
وتعظم في عين الصغير صغارها	وتصغر في عين العظيم العظائم	الهمة
ولذيذ الحياة أنفس في النفس	وأشهى من أن يمل وأحلى	
ومن تفكر في الدنيا ومهجته	أقامه الفكر بين العجز والتعب	حلاوة الحياة
أبي خلق الدنيا حبيبا تديمه	فما طلبي منها حبيبا ترده	الدنيا ومتاعبها
لمن تطلب الدنيا إذا لم ترددها	سرور محب أو مساة مجرم	لا خلود في الدنيا
لحى الله ذي الدنيا مناخا لراكب	فكل بعيد الهم فيها معذب	الحياة هدف
إنما تنجح المقالة في المر	إذا وافقت هوى في الفؤاد	منزلة الدنيا
وكل امرئ يولي الجميل محبب	وكل مكان ينبت العز طيب	النجاح
لا تلق دهرك إلى غير مكترث	ما دام يصحب في روحك البدن	الإعتراف بالجميل
فما يديم سرور ما سررت به	ولا يرد عليك الفائت الحزن	فناء الدنيا
ما كل ما يتمنى المرء يدركه	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن	يوم لك ويوم عليك
ومراد النفوس أصغر من أن	تتعادى فيه وأن تتفانى	التمني
غير أن الفتى يلاقي المنايا	كالحات ولا يلاقي الهوانا	هوان أمور الدنيا
ولو أن الحياة تبقى لحي	لعددنا أضلنا الشجعانا	الكرامة
وإذا لم يكن من الموت بد	فمن العجز أن تكون جبانا	فناء الدنيا
كل ما لم يكن من الصعب في الأنف	س سهل فيها إذا هو كانا	العجز حين الموت بد
أعز مكان في الدنيا سرج سابح	وخير جليس في الأنام كتاب	بالإرادة تتحقق

تصفو الحياة لجاهل أو غافل	عما مضى فيها وما يتوقع	المعجزات
يعللنا هذا الزمان بذا الوعد	ويخدع عما في يديه من النقذ	الكتاب خير جليس
ومن البلية عذل من لا يرعوي	عن جهله وخطاب من لا يفهم	الفطنة
ترى الفتى ينكر فضل الفتى	في عصره حتى إذا ما ذهب	خداع الزمان
جدبه الحرص على نكتة	يكتبها عنه بماء الذهب	العلم والجهل
والهم يختزم الجسيم نحافة	ويشيب ناصية الصبي ويهرم	ثناء الميت
قد يصيب الفتى المشيب ولم يجـ	هد ويشوي الصواب بعد اجتهاد	الهم وفتكه
الحزن يقلق والتجمل يردع	والدمع بينهما عصي طيع	الحظ
		الصبر والدمع

ب. حكم في الناس:

البيت الشعري		مغزاه
والعار مضاض وليس بخائف	من حتفه من خاف مما قيلا	العرض
ما كل من طلب المعالي نافذا فيها	ولا كل الرجال فحولا	ليس كل ما يلمع ذهبا
ومكايد السفهاء واقعة بهم	وعداوة الشعراء بئس المقتني	كيد الشاعر وكيد السفيه
أفاضل الناس أغراضا لدى الزمن	يخلو من الهم أخلاهم من الفطن	الفطنة والهم
وإذا أتتك مذمتي من ناقص	فهي الشهادة لي بأني كامل	مذمة الناقص للكامل
وكل يرى طرق الشجاعة والندى	ولكن طبع النفس للنفس قائد	الطبع والنفس
وما كل وجه أبيض بمبارك	ولا كل جفن ضيق بنجيب	ليس كل ما يلمع ذهبا
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره	إذا استوت عنده الأنوار والظلم	فائدة النعمة
وما في سطوة الأرباب عيب	ولا في ذلة العبدان عار	الناس مقامات
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم	إلا على شجب والخلق في الشجب	الناس والتفاهم
وأتعب خلق الله من زاد همه	وقصر عما تشتهي النفس وجده	الهم
وفي الناس من يرضى بميسور	عيشه ومركوبة رجلاه والثوب جلده	القناعة
وما كل ها وللجميل بفاعل	ولا كل فعال له بمتمم	الهواية والعقل
يحب العاقلون على التصافي	وحب الجاهلين على الوسام	الحب والطمع
ولم أر في عيوب الناس شيئا	كنقص القادرين على التمام	التخاذل

وقد يلقبه المجنون حاسده	إذا اختلطن وبعض العقل عقال	العقل
العبد ليس لحر صالح بأخ	لو أنه في ثياب الحر مولود	الناس مقامات
لا تشتر العبد إلا والعصا معه	إن العبيد لأنجاس مناكيد	العبد والعصا
لا بد للإنسان من ضجعة	لا تقلب المضجع عن جنبه	الضجعة وآثاره
ينسى بها ما كان من عجبه	وما أذاق الموت من كربه	
يدخل صبر المرء في مدحه	ويدخل الإشفاق في ثلبه	الصبر
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق	ينسى الذي يولي وعاق يندم	
لا يخدعنك من عدو دمعه	وارحم شبابك من عدو ترحم	الحذر في التعامل
ومن العداوة ما ينالك نفعه	ومن الصداقة ما يضر ويؤلم	موضع الخير
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى	عدوا له ما من صداقته بد	ساير عدوك تأمن شره

ج. حكم في الرأي:

البيت الشعري		مغزاه
ثاقب الرأي ثابت العلم لا يقـ	در أمر له على إقلاق	الرأي المستقيم
ولربما طعن الفتى أقرانه	بالرأي قبل تطاعن الأقران	الرأي والشجاعة
لولا العقول لكان أدنى ضيعتهم	أدنى إلى شرف من الإنسان	الإنسان والحيوان
وإذا الحلم لم يكن عن طباع	لم يكن عن تقادم الميلاد	العلم جبلة
ومن يجد الطريق إلى المعالي	فلا ينذر المطي بلا سنام	العزم والعلى
وإذا العدى نشبت فيهم مخالبه	لم يجتمع لهم حلم ورئبال	اللحم
وإنما يبلغ الإنسان طاقته	ما كل ماشية بالرجل شملال	الاجتهاد
وما كل من قال قولا وفى	ولا كل من سيم خسفا أبي	تسبيق الأحكام
ولا بد للقلب من آلة	ورأي يصدع صم الصفا	سداة الرأي
وكل طريق أتاه الفتى	على قدر الرجل فيه الخطى	المؤهلات
وليس حياء الوجه في الذئب شيمة	ولكنه من شيمة الأسد الورد	الحياء

د. حكم في الشجاعة:

البيت الشعري		مغزاه
أنف الكريم من الدنيئة تارك	في عينيه العدد الكثير قليلا	العار
إذا غامرت في شرف مروم	فلا تقنع بما دون النجوم	الطموح
فطعم الموت في أمر حقير	كطعم الموت في أمر عظيم	
يرى الجبناء أن العجز عقل	وتلك خديعة الطبع اللئيم	العجز
وكل شجاعة في المرء تغني	ولا مثل الشجاعة في الحكيم	الحكمة والشجاعة
ومن قبل النطاح وقبل يأتي	تبين لك النعاج من الكباش	الشجاع والجبان
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا	فأهون ما يمر به الوحول	الصعاب

فقد يظن شجاعا من به خرق	وقد يظن جبانا من بهز مع	المظاهر خداعة
إن السلاح جميع الناس تحمله	وليس كل ذوات المخلب السبع	القوة والشجاعة
فحب الجبان النفس أورده البقا	وحب الشجاع الحرب أورده الحربا	الحرب
وإذا ما خلا الجبان بأرض	طلب الطعن وحده والنزالا	الجبان والشجاعة
إنما أنفس الأنيس سباع	يتفارسن جهرة واغتيالا	مكانة الشجاعة
من أطاق التماس شيئ غلابا	واغتصابا لم يلتمسه سؤالا	
إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة	فلا تستعدن الحسام اليمانيا	الذليل والسيف
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى	ولا تتقى حتى تكون ضواريا	القوة والهيبة
ولو أن الحياة تبقى لحي	لعددنا أضلنا الشجعانا	فناء الحياة
وإذا لم يكن من الموت بد	فمن العجز أن تكون جبانا	
لا يدرك المجد إلا سيد فطن	لما يشق على السادات فعال	المجد والفطنة

هـ. حكم في الكرامة:

البيت الشعري		مغزاه
واحتمال الأذى ورؤية جانبيـ	ـه غداء تضوي به الأجسام	العيش والأذى
ذل من يغبط الدليل بعيش	رب عيش أخف منه الحمام	العيش والذل
من يهن يسهل الهوان عليه	ما لجرح بميت إيلام	الهوان والقلب
لا يعجبن مضيما حسن بزته	وهل تروق دفينا جودة الكفن	الإنسان جوهر لا مظهر
وإذا كانت النفوس كبارا	تعبت في مرادها الأجسام	التعب والكرامة
ولا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يراق على جوانبه الدم	الشرف
والذل يظهر في الدليل مودة	وأود منه لمن يود الأرقام	العجز والمودة
ومن يبالي بذم	إذا تعود كسبة	التعوذ على الذم

و. حكم في الموت:

البيت الشعري		مغزاه
وما الموت إلا سارق دق شخصه	يصول بلا كنف ويسعى بلا رجل	سرعة الموت
وقد فارق الناس الأحبة قبلنا	وأعيا دواء الموت كل طبيب	الموت بد
نحن بنو الموتى فما بالنا	نعاف ما لا بد من شربه	الموت حقا
يموت راعي الضأن في جهله	ميتة جالينوس في طبه	الموت سواء

ي. حكم في الحرب:

البيت الشعري	مغزاه

إذا الطعن لم تدخله في شجاعة	هي الطعن لم يدخلك فيه عذول	الحرب والشجاعة
وإذا الرماح شغلت مهجة ثائر	شغلته مهجته عن الإخوان	الحرب والإخوان
لا افتخار إلا لمن يضام	مدرك أو محارب لا ينام	العزم
عش عزيزا أو مت وأنت كريم	بين طعن القنا وخفق البنود	العزة والكرامة

- حكم في الأخلاق.

البيت الشعري		مغزاه
إذا رأيت نيوب الليث بارزة	فلا تضن ان الليث يبتسم	لا تنخدع بالمظهر.
ولا تطمعن من حاسد في مودة	وإن كنت تبديلها له وتتديل	لا مودة من حاسد
إذا أنت الكريم ملكته	وإن أنت اكرمت اللئيم تمردا	الناس معادن
وما الحسن في وجه الفتى شرفا	إذا لم يكن في فعله والخلائق	الأخلاق والخلق
إذا أساء فعل المرء ساءت ظنون	وصدق ما يعتاده من توهم	الخيانة
وأظلم أهل الظلم من باس حاسدا	لمن بات في نعمائه يتقلب	الحسد مذموم
أرى الأجداد تغلبها كثيرا	على الأول وأخلاق اللئام	اللؤم
ولمن يخالط في الحقائق نفسه	ويسومها طلب المحال فتطمع	القناعة
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة	وأعوز الصدق في الأخبار والصدق	الوفاء
ولم تنزل قلة الإنصاف قاطعة	بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم	الانصاف
ولا تشك في خلق وتشمته	شكوى الجريح إلا الغربات والرخم	الحيطة واجبة
إذا انتك الإساءة من وضيع	ولم ألم المسي ألوم	إساءة الحقير
فلا تجرح الخير عند إمرئ	مدت يد النحاس في رأسه	فاقد الشيء لا يعطيه
من وجد الذهب عن قدره	رأى غيره منه ولا يرى	اللؤم خسة
فخر الفتى بالنفس والأفعال	من قبله بالعم والأخوال	الفتى من يقول ذا انا
يؤدي القليل واللئام بطبعه	من لا يقل كما يقول ويفعل	اللئيم والكريم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد	ذا عفة فلعله لا يظلم	العفة
أفعال من تلد الكرام كريمة	وفعال من تلد الاعجام	العرق مداد الوفاء
وفي الأحباب مختص بوجد	اخر يدعى معه اشتراكا	الوفاء
إذا اجتمعت دموع في خدود	تبين من بكى ممن تباكى	

- حكم في المال

البيت الشعري		مغزاه
ومن ينفق الساعات في جمع ماله	مخافة فقر فالذي فعل الفخر	البخل والفقر
فلا ينحلل في المجد مالك كله	فينحلل مجد كان بالمال عقدة	المجد والمال.
إذا لم تجد ما لم يبتر الفقر قاعدا	فقم وأطلب الشيء الذي يبتر العمر	الفقر.
والغنى ويد اللئيم قبيح	قدر قبح الكريم في الاملاق	المال وقبحه.
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله	ولا مال في الدنيا لمن قل مجده	المال والمجد

- حكم في الكرم:

البيت الشعري		مغزاه
إن الكرام بلا كرام منهم	مثل القلوب بلا سويداواتها	الكرام والكرم
إذا لم تكن نفس النسب كأصله	فما الذي يغني كرام المناصب	النسب والكرم
والغني ويد اللئيم قبيح	قدر قبح الكريم في الاملاق	المال وموضعه
وإذا أوكلت إلى كريم رأيه	والوجود بأن مضيقه من محفنة	السان
وما يوجع حرمان وكف حارم	كما يوجد الحرمان وكف رازق	الحرمان
لا تطلبن كريما ببعد رؤيته	إن الكرام بأسخاهم	السخاء
لولا المشقة ساد الناس كلهم	الجود يفقر والاقدام قتال.	الوسطية والكرم
ظالم الجود كلما رحل ركب	سيم ان تحمل البحار مزاده	الاعتدال والكرم

حكم في العلم:

البيت الشعري		مغزاه
فقر الجهول بلا قلب إلى أدب	فقر الحمار بلا رأس إلى رسن	القلب والأدب
ذو العقل يشقى والنعيم بفعله	وأخو الجهالة والشقاوة ينعم	الجهل
إذا قيل رفقا قيل للعلم موضع	وحلم الفتى وغير موضعه جهل	العلم والجهل.

حكم في الحب:

البيت الشعري		مغزاه
نصيبك وحياتك من حبيبك	نصيبك ومنامك من خيالك	النصيب والحبيب
إلام طماعية العادل	ولا رأي والحب بالجهل فاسد	الحب والعواذل
فإن قليل الحب بالعقل صالح	وإن كثير الحب بالجمل فاسد	الحب والعقل
مما أضر بأهل العشق أنهم	هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنو	العشق والفطنة
وما العشق إلا غرة وطماعة	يعرض قلب نفسه فيصاب	الحب والقلب
لو فكر العاشق ومنتهى	حسن الذي يسبيه لم يسبه	الحب أعمى
وكاتم الحب يوم البين منهتك	وصاحب الدمع لا يخفى سرائره	الحب لا يخفى

الفصل الثاني

الفصل 2:

المبحث 1: تجليات الحكمة في شعر المتنبي (دراسة تحليلية)

- حكم اجتماعية
- حكم اقتصادية
- حكم فكرية
- حكم سياسية

المبحث 2: آراء ختامية في حكم المتنبي

أ. مظاهر فكر المتنبي

ب. الإحكام الفني لشعر الحكمة

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

تجليات الحكمة في شعر المتنبي (دراسة تحليلية):

لا نريد أن نقوم بإحصاء أبيات الحكمة التي جرت مجرى الأمثال فنحن ضد التجزئة لأنها تجاوز على وحدة القصيدة بكل ظروفها ومسبباتها كما قلنا، ومن ثم فهي تجاوز على وحدة الفكر عند الشاعر، وإنما سنحاول الوقوف على ما يمكن استخلاصه من مجمل قصائده اقترابا من التشخيص النهائي لنظرة الشاعر إلى الحياة والإنسان وموقفه منهما.

لقد كانت حكمة المتنبي نابضة بالحركة، متلائمة وحرارة شعره حين يحدثنا عن الشجاعة والبطولة ويصور المعارك مستهينا بمصير الإنسان، ومفكرا في الموت والحياة وصرف الزمان من وجهة فيها قدر من الاندفاع التي تظلله الإيمان ببعض العيبيات، وفيها أيضا خلاصة تجربته الزمانية وما هي إلا نداء للكفاح، ودعوة لقبول التحدي ورفض الهزيمة.[41]

شعر الحكمة عند المتنبي بصياغته وصفائه وعمق أفكاره هو من الأسباب الأولى في شهرته وخلود اسمه، فمن خلال دراستنا لشعر المتنبي وجدنا الحكمة جليلة واضحة تتردد في ثنيا قصائده والتي لو اقتطعت من ديوانه لكانت في ذاتها ديوان يجر أي شاعر فحل أن تأتي بمثله.[42]

وقد مست كل جوانب الحياة سياسية، اجتماعية، اقتصادية وفكرية.

أ- اجتماعيا: وتستمل على الحكم الآتية:

[41]: هادي نهر: المتنبي، المرجع نفسه، ص142.

[42]: المرجع نفسه، ص141.

أ-1- حكم في الحياة:

يمكننا القول وبلسان صريح، أن المتنبي لم يخلف ليعيش فحسب، لكنه وجد ليتذوق حلو ومر الحياة، فرحها وحزنها، نجاحه وفشلها، فكان يغوص في هذا الحقل الرحب الفسيح المليء بالمتناقضات، فاستنتج أنه لابد له من أسلوب يجعله يتعايش مع هذه المتضادات ويسايرها حسب الظروف، يجعله هذه الحياة عبارة عن حفل تجارب يتضارب بعضهما ببعض، واللبيب الكيس هو من يستفيد منها رغم قساوتها ويسخرها لإضافتها إلى رصيده إذا ما مر بموقف مماثل.

فنجد له الكثير من الحكم في هذا المضمار، والتي تعالج أمورا موجودة في الحياة كحب الناس للحياة والبقاء على اختلاف أعمارهم، فنجده يقول:

ولذيذ الحياة أنفس في النف س وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أف فما م سك حياة وإنما الضعف ماكرا

آله العيش صحة وشباب فإذا ولى عن المرء ولى[43]

كما نجده أيضا يتحدث عن عدم دوام الحال في هذه الحياة سواء في الحب أو الصداقة أو غيرها حيث يقول:

أبى خلق الدنيا حبيب نديمه نما طلبي منها حبيب ترده[44]

كما يتحدث عن معاكسة الأيام لرغباته فيقول:

أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليهما بيننا وهي جنده

[43]: أبو الطيب أحمد بن الحسين: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر،1980، ص408.

[44]: المصدر نفسه، ص453.

يباعدان حبا يجتمعن ووصله فكيف بحب يجتمعن وصده[45]

ويعتبر المتنبي من أكبر الشعراء الين لهم النصيب الأوفر في علم المذاهب والآراء، لأن الحقائق المطبوعة لا تكاد تقر في نفسه حتى يرسلها إلى ذهنه ويكسوها ثيابا من نسجه ويغلب أن يوردها بعد ذلك مقرونة بأسبابها معززة بحجمها على نمط لا يفرق بينه وبين أسلوب الفلاسفة في التدليل إلا طابع السليقة وحرارة العاطفة فيقول:

إذا غامرت فيشرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم.

فطعم الموت أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم.[46]

وقوله:

إذا أتتك الإساءة من لئيم ولم ألم المسيء فمن ألوم[47]

فمذهب المتنبي في الحياة تزاوج بين الطبع و العقل، وكذلك كان نتيجة القدرة على استيعاب مؤثرات الحياة جميعها.

ويمكن تلخيص حكمة المتنبي في الحياة استنادا إلى قول آخر للعقاد الذي يرى بأنها:"حرب ضروس بين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والمودة عنده ما هي إلا حيلة من حيل الحرب أو هدنة من حومة القبائل"[48]

فنجد المتنبي يدعوا إلى اتخاذ الحذر والحيطة في التعامل مع الناس في قوله:

لا يخدعنك من عدو دمعه وارحم شبابك من عدو ترحم[49]

---

[45]: المصدر نفسه، ص 445.

[46]: المصدر نفسه، ص232.

[47]: المصدر نفسه، ص503.

[48]: مطلعات في الكتب والحياة، المكتبة العصرية ، ص213.

كما نجده يدعو إلى السرور في الحياة والتمعن بها فهو يشجعها ويحرص عليها فيقول بأسلوبه المعتاد المصحوب بالنصيحة:

أنعم ولذ فالأمور أواخر روق الشباب عليك ظل زائل[50]

فهو يحب الحياة ويطلبها شرط لأن لا يعتريه فيهما ذل في قوله:

ولا أقيم على مال أذل به ولا ألذ بما عرض به درن[51]

فالمتنبي لم يكن كارها للحياة رغم ما واجهه فيها من صعوبات و إنما كان حاقدا على كل ما هو قبيح ودنيء في هذه الحياة.

أ-2- حكم في الناس:

مما لاشك فيه أن المتنبي يشتق حكمه من تجارب الحياة اليومية، وبما أن هذه التجارب أبطالها هم عامة الناس فكان ينظر إلى أحوالهم وأفكارهم ومكانتهم ووجهتهم في الحياة "بعين ثاقبة" إذا كانت له نظرة صائبة في الناس حيث يدعو إلى حسن التمييز بين الناس على أنهم معادن وذلك في قوله:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإذا أنت أكرمت اللئيم تمرد[52]

فالمتنبي يرى بأن لكل مقام مقال.

---

[49]: أبو الطيب المتنبي: المصدر السابق ، ص213.

[50]:ديوان المتنبي: المصدر السابق، ص115.

[51]: المصدر نفسه، ص454.

[52]: المصدر نفسه: 372.

ومما جسده المتنبي أيضا في حكمه أنه درس أوضاع الناس في هذه الحياة ذلك أنه رأى أن هناك من يسعى في هذه الدنيا ويعمل من أجل تخليد وجوده والبحث عن محله من الإعراب في هذا الحقل، وهناك من لا فرق بين حياته ومماته إذ يقول:

في الناس أمثلة تدور حياتهما كمماتهما ومماتهما كحياتهما[53]

وفي نفس السياق يقول في بيت آخر:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم[54]

كما أنه يتحدث عن طباع الناس المختلفة والمتضاربة، فكل له رأيه الذي يتمسك به، مما يخلق اختلاف بينهم وبالتالي استحالة الاتفاق في الكثير من الأحوال والظروف، في قوله:

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلق في الشجب[55]

كما نجده تحدث عن السمات الطيبة في نفوس الناس والخصال الحميدة كالقناعة التي هي كنز لا يفنى وذلك في قوله:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبة رجلاه والثوب جلده[56]

فالمتنبي إذن بعقله الراجح استطاع أن يعالج في حكمه مواضيع تمس الناس وأحوالهم، فكان بذلك لسان حالهم الذي يعبر عن آلامهم وأفراحهم ومناهجهم في الحياة.

أ-3- حكمته في الأخلاق:

---

[53]:المصدر نفسه، ص188.

[54]: المصدر نفسه، ص306.

[55]: المصدر نفسه، ص436.

[56]: ديوان المتنبي، المصدر السابق، ص454.

كان للأخلاق نصيب وافر من شعر المتنبي، حيث أشاد بحسنها وذم بقبحها، وفرق بين الأخلاق والخلق في قوله:

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن في فعله والخلائق[57]

فالحسن حسن الأخلاق لا الخلق.

كما نجده يقرن الأخلاق بالقوة، ويظهر ذلك في قوله:

إنما أنفس الأبنس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا[58]

حيث أن الإنسان لا يستطيع العيش بغير عدة وسلاح، وأن العدل والرحمة والتقوى غير مجدية إذا لم تقترن بالقوة، وهذا يندرج فيه الحكمة القائلة: «لا تكن لينا فتعصر ولا تكن قاسيا فتكسر».

فتلك هي أصل الأخلاق عند المتنبي، فهو يرى:"أن الدنيا لمن غلب، وأن القوة أساس الأخلاق ويطلب اللذة كذلك فيقول" فيقول:

أنعم ولذ فللأمور أواخر أبدا إذا كانت لهم أوائل

مادمت من أرب الحسان فإني روق الشباب عليك ظل زائل[59]

وقد كان يلحظ البين الواسع بين أخلاق الأحرار وأخلاق العبيد في كل موضع يفرق فيه بين شائن والمجيد في قوله:

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود[60]

---

[57]: المصدر نفسه، 394.

[58]: المصدر نفسه، 412.

[59]: ديوان المتنبي: المصدر السابق، ص115.

فهذا تصريح صريح بالتفريق بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد، فعنده أن الناس بمقاماتهما، فلا يمكن ان يضع العبد والحر في منزلة واحدة.

أ-4- حكمته في العزة والكرامة:

المطلع على قصائد المتنبي يلمس ما فيها من اعتزاز بالحياة، فنجده يشيد بالحياة الكريمة الخالية من الذل والهوان فبمبدئه في الحياة هو العيش في عزة وكرامة وإلا فالموت أفضل، فنجده يدعو إلى خوض المعارك في سبيل العيش الكريم، ويوبخ الراكعين المتخاذلين ونلمس هذا في قوله:

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

واحتمال الأذى ورؤية جانبه غداء تضوي به الأجسام

من يهن يسهل الهوان عليه ما الجرم يميت إيلام[61]

ذلك أن الموت عنده خير من حياة الذل ونجدده يقول كذلك:

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام[62]

ويواصل المتنبي مسيرته تحت راية العزة والكرامة والإصرار على مواجهة الطغاة والقتال ضدهم فيقول:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يرافق على جوانبه الدم[63]

ويقول في قصيدة أخرى محرضا على التمسك بالشرف مهما كان الثمن فيقول:

---

[60]: المصدر نفسه، ص507.

[61]: المصدر نفسه، ص164.

[62]: المصدر نفسه، المصدر السابق، ص164.

[63]: ديوان المتنبي، المصدر السابق، ص571.

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكت اللحم والعظما[64]

كذا أن يا دنيا إذا شئت فاذهبي ويا نفس زيدي في كرائهما قدما

فكبرياء الشاعر تبعث في نفسه رغبة في القتال حتى لا يستقر على الذل، فالكرامة هي المطلب الوحيد لدى الشاعر وشعوره بها أقوى من شعور الجاهلين فنجده كذلك يقرن اللذات مع الكرامة حيث يقول:

فما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أبخل عنده وأكرم[65]

فاللذة عنده لا تكون إلا بالكرامة، فإذا بخل كرم، فإذا اجتمعت له اللذة والكرامة طابت عيشه، أما إذا كانت بالذل والهوان فاللذة تفقد معناها كلذة.

أ-5- حكم في الموت:

يرى المتنبي أن الموت يعبر عن العزة والإدارة، ويختار الموت عن الحياة، وقد يصبح مطلبه الوحيد عندما يكثر الظالمون فيقول:

غير أن الفتى يلاقيني المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا[66]

فالحياة ذليلة عنده مصاحبة للهوان والاحتقار، فهي أسهل طرق الحياة، ومن ذلك يجب أن يقبل الموت كحل للحالة الرديئة فتكون في ذلك الموت شرف لأنها ذليلة على الشجاعة لا الضعف، فنجده يقول:

وإذا لم يكن من الموت يد فمن العجز أن تكون جبانا

---

[64]: المصدر نفسه، ص572.

[65]: المصدر نفسه، ص571.

[66]: المصدر نفسه، ص474.

ولو أن الحياة تبقى لحي لعددنا أضلنا الشجعان

كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهل فيهما إذا هو كان[67]

فالجبان هنا يرفض الموت ويفضل حياة الهوان، إلا أنه ومع ذلك فإنه لا يتمتع بالكرامة فيقول:

كل حلم أني بغير اقتدار حجة لاجئ إليهما اللئام[68]

فالموت بدلا مجال للهروب منه، فهو قدر مكتوب على كل كائن حي، فنجده في هذا المضمار يقول:

يموت راعي الضأن في جهله ميتة جالينوس في طبه[69]

فالطبيب لم ينفعه طبه وعمله في شيء فالموت سواء عند كل الناس.

كما يقول في الجبناء الذين يخافون الموت:

يرى الجبناء أن العجز عقل وتلك خذيعة الطبع اللئيم[70]

ففي هذه القضية دعوة غير مباشرة إلى الابتعاد عن الزهد، ويرى "أن الحياة قد وعظت أهلها، فلم يبق عذرا للجبان الذي يخاف الموت".

ب- اقتصادية:

حكم في المال:

---

[67]: ديوان المتنبي، المصدر السابق، صص474.

[68]: المصدر نفسه، ص164.

[69]: المصدر نفسه، ص558.

[70]: المصدر نفسه، ص232.

لعب المال دورا هاما في حياة المتنبي إذ كان طموحه منصبا على جمعه، فكانت أشعاره تطلق لغاية التكسب، وخاصة تلك التي كانت موجهة لمدح الأمراء والملوك، فأعطى بذلك للمال مكانة كبيرة في حياته، إذ اعتبره آلة للمجد ووسيلة له، بذلك نجده ينصح بادخاره وذلك في قوله:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده[71]

غير أنه يمقت أن يكون الإنسان عبدا للمال فيقول:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقره فالذي فعل الفقر[72]

ويقول في البخيل الذي يمتنع عن استخدام ماله خشية الفقر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر[73]

وقال أيضا:

والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الإملاق[74]

ج- فكرية:

وفيها نجد ما يلي:

[71]: المصدر نفسه، ص454.

[72]: ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص189.

[73]: المصدر نفسه، ص

[74]: المصدر نفسه،ص

حكم في العلم والرأي:

كان المتنبي يقدس العلم ويمجده بالموازاة مع المال، إذ يعتبره وسيلة لتفتح العقول والنضج والسير الصحيح مع الواقع فيقول:

أعز مكان في لدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب[75]

فالمتنبي يضع السيادة والعلم في موضع واحد من الجلالة والقداسة، إلا أنه من خلال أقواله الأخرى، نجده يبن لنا الموضع الأصلي من العلم، فلا يجعله الغاية المنشودة لذاته وإنما يجعله واسطة إلى غايته في للعاقل فيقوولالعزة كما نجده يتحدث عن أهمية العلم للعاقل فيقول:

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن[76]

وقوله أيضا:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم[77]

كما نجده يعطي للرأي مكانة لا تقل عن سابقيه أهمية، إذ أنه ينزله منزلة عالية ويمجده عن الشجاعة، فيرى أن الرأي هو الذي يقود إلى الشجاعة وذلك من خلال قوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هي أول وهي المحل الثاني[78]

فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل نطاع نال أقران

---

[75]: ديوان المتنبي، المصدر السابق، ص478.

[76]: المصدر نفسه، ص170.

[77]: ديوان المتنبي، ص541.

[78]: المصدر نفسه، ص414.

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

وبهذا يتضح لنا تقديمه للرأي على الشجاعة عرفانا بحق الرأي على كل ما يدرك بالشجاعة حتى يقول:

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدي الكماة عوالي المران[79]

فقد فضل الرأي السديد كونه يبصر أيدي الكماة بتدبير عوالي المران ويعين الشجاعة على مرادها. فالمتنبي إذن كرس وفضل العقل والرأي ووضع لهم مكانة عالية، فقد كان صوت العقل بالنسبة له أقوى من صليل السيوف وصهيل الجواد.

سياسية:

حكم في الحرب:

إن الحرب عند المتنبي شريعة عادلة لأن الإنسان جُبل على العدوان وأنه في صراع مستمر وجهاد دائم مع غيره، وهو يريد الغلبة وعزيمة يريدها ايضا فلا يمكن دفع الظلم وكبح الشر واسترداد الحق بالمفاوضات والمكاتبات، فلا رسل إلا الجيوش ولا كتب إلا السيوف، فلا يعتمد الإنسان في إخضاع أعدائه إلى الملانية ولكن القتال هو طريق النصر. لم يدع المتنبي للحرب مجردة من غايتها السامية ولم يرفعها قدرا خاليا من الحق ولم يقصد بها إذكاء روح الحق والبغضاء في نفوس الآخرين، بل انه وجد فيهما طريق لإقرار السلام ومجالا بين المظلوم والظالم، يدافع فيهما الأول ضد الثاني من أجل الوطن والعرض والمكتسبات على ما في الحروب من فضائع ومآسي أدركها المتنبي وأدركها غيره.

لقد كان المتنبي يرافق الأمراء والملوك في غزواتهم، فكان ه أن نظم قصائد من بينها هذه القصيدة التي استهلها بذكر أبيات من الحكمة في الحرب بقوله:

---

[79]: المصدر نفسه، ص449.

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدي الكماة غوالي المران

ولولا سلى سيوفه ومضاؤه سللن لكن كالأجفان[80]

ثم ينتقل المتنبي إلى وصف حيل القتال، فيذكر أن الأم ير حاذها إلى بلاد الأعداء التي صارت لها كالأوطان، لكثرت ما تعودت التردد عليهما، وكان صوت المتنبي يرتفع ويلقننا حكما تنير لنا السبل فيقول:

وإن لتلقى الحادثان بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل[81]

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

فالقائد الذي يبذل الروح دفاعا عن أرضه لابد من أن تخافه الأعداء، فالتضحية تجعل العدو يخاف من مواجهتهم، وعلى هذا النمط اندفع المتنبي في شعره يتغنى ببطولات سيف الدولة، وانطوى في هذا الغناء جانب آخر وهو تعبير المتنبي عن طموحه واعتزازه بنفسه فيقول في هذا الصدد:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع ما دون النجوم[82]

فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وكان للمتنبي موقف في قوله لان العرب بصفة عامة يمتازون بالأنفة والاباء والشعور بالكرامة، ومن هنا كانوا شغوفين بشعره.

ويدرج المتنبي ضمن حكمه في الحرب والعزة فيفضل الموت عن العيش في الذل حيث يقول:

---

[80]: ديوان المتنبي، المصدر السابق، ص499.

[81]: المصدر نفسه، ص222.

[82]: المصدر نفسه، ص232.

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

فرؤوس الرماح أذهب للغيظ وأشفى لغل صدر الحقود

فاطلب العز في لظي وذر الذل ولو كان في جنان الخلود[83]

فالمتنبي يعتبر الصوت الذي ارتفع ضد المذلة والقهر، ذلك الصوت الذي لا يقبل الخضوع والرضوخ، وعرض على التفاني بخصوص المعارك، لأجل ذلك يدعوا في سبيل ذلك إلى التضحية بالنفس والنفيس في سبيل نيل أعلى الدرجات فالذل عنده مذموم والموت أحب إليه من العيش في الذل والهوان، لذلك نجد لديه هذه الحماسة في الحرب ودعوته إلى خوض غمار الحروب من اجل العش في عزة وكرامة

[83]: المصدر نفسه، ص512.

ملاحظات ختامية لحكم المتنبي:

مظاهر فكر المتنبي: في وسع أي باحث أن يلاحظ سمات الحكمة والمظاهر السلوكية لفكر صاحبها بعد إطلاعه سعر شعره والتي نوجزها فيما يأتي:

أولا: عقلية المتنبي عقلية جدلية بأدق معنى، يشوبها كثير من القلق والتمزق والتوتر الدائم، وبالنظر إلى ميزات التفكير الفلسفي فإننا لا نجد هذه الميزات متوفرة في شعر المتنبي، ومن هنا لا يمكن القول إنه ليس بفيلسوف، ولكنه شاعر حكيم استهدف من مجموعة حكمة بناء مجتمع جديد قائم على ركيزتين أساسيتين هما: القوة والعقل وقد استطاع الشاعر أن يثبت في الأذهان حكمته وإن سيرها على الألسنة وهذا أن تول فرانس يقول:" أن الفكر ليس ملكا لمن يبدعه، إنما هو ملك من يثبته في الأذهان"(84)

ثانيا: أن المتنبي لا يفكر بمعزل عن الأشياء، ومن ثم فإن المعاني التي ينتهي إليها هي وليدة جدل مباشر بينه وبين هذه الأشياء وحرصه الشديد على حضوره الشخصي في قلب المعنى يؤكد هذه الحقيقة بقدر ما يفسرها، ولذلك يندر لديه الفكر التجريدي الصرف.

ثالثا: أنه لا يفكر في الأشياء في اتجاه واحد، لأنه لا يعترف بان للشيء وجها واحدا، وأيضا قابلية الأشياء في منظوره للتغير المستمر وإدراكه الواعي لما يكون هناك من جدل حاد بين ظاهرها وباطنها، يجعله حريصا على تقليب النظر ومراجعة النفس بين آونة وأخرى ([85]).

رابعا: أن البنية الجدلية للحياة والوجود قد انعكس على عقليته، فإن منهجه في التعامل مع الأشياء لم يتبلور إلا من خلال اصطدامه العنيف بالحياة، وكما كشفته له التجريد العريضة الدائبة.

---

[84]: هادي نهر: مع المتنبي، ط1، عالم الكتب الجديدة، الأردن، 2010، ص149.

[85]: االمرجع نفسه، ص150.

خامسا: ومن هنا يمكن أن تقف على سر خلود حكمته وهو كون صاحبها جمع إلى الاختيار الحي، المشاهدة العامة، والتأمل الواعي والثقافة العميقة والعقل الحصيف، تنقله المستمر بين البوادي والحواضر واتصاله بفئات متعددة ذات ميول متضاربة متباينة عاشر دوي التيجان والصوالجة، عربا وعجما، واتصل اتصالا وثيقا بالوزراء والقواء والولاة، وسلخ من صميم الواقع الحياتي حكما قوتها ثقافته، وعمقها عقله، وأنضجتها عاطفته، ولونها خياله.

سادسا: وإذا وقعنا في هذا الحكم عل شيء من الكآبة والتشاؤم فمرده العصر الذي عاش فيه الشاعر وهو عصر متفسخ، مضطرب سياسيا، متفكك اجتماعيا بل خلقيا وإخفاق الشاعر نفسه في تحقيق أمانيه، فهو مخلوق ليتربع على عرش وإن كان لسانه معدودا في الشعراء([86])*

2/ الأحكام الفني لشعر الحكمة عند المتنبي:

إذا ما تفحصنا البناء الفني لشعر الحكمة عند المتنبي ألفينا أنفسنا أمام ضروب من الصياغة الفنية التي صاغ منها وفيها المتنبي، هذا البناء الثري على مستوى الإيقاع ومهارة التركيب ويمكن لمتأمل شعر الحكمة للمتنبي الوقوف على صور متعددة لهذه الصياغة نذكر منها:

أولا: استعمال أدوات الشرط.

لما في هذه الأدوات من ملاءمة لنسج المعاني الفلسفية والفكرة المعمقة ولها في هذه الأدوات من وظيفة الربط وأحكام العلاقات العقلية بين الأسباب ونتائجها. وفيها أيضا القدرة على إقرار النتائج المتوقعة لخلاصة التجارب الإنسانية وتوقعاتها، وهذه كلها في الأساس لا تتأتى

*: هادي نهر: المرجع السابق، ص150.[86]

إلا من تفاعل الحياة مع رجاحة العقل وعمق التفكير الفلسفي عند الإنسان، وهي عناصر تقتضيها طبيعة شعر الحكمة عند أي شاعر كان.[87]

ولعل (إذ) و (أن) أكثر أدوات الشرط استعمالا عند المتنبي، ولا تختلفان إلا من حيث التوجيه الدلالي، وبالقدر الذي يستجيب له الوزن الشعري، ولذلك نجد (إذا) أحيانا في بداية الشطر الأول من البيت، و(إن) في بداية الشطر الثاني منه دون أن يكون هناك قصر للتمييز بينهما، علما بأن (إن) على ما يقول النجاة تجعل بين الشطر الثاني والجواب تلازما مطلقا سواء أكان بين ثبوت وثبوت أو بين نفي ونفي، أو بين نفي وثبوت وعكسه في المستقبل خاصة.[88]

وعلى الرغم من وعي المتنبي بقضايا النحو العربي في دقائقه وأصوله نحسب أنه وهو يصوغ بيته:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا.

لم يضع في اعتباره هذه الضوابط التي يقول بها النحاس، ومع ذلك فإن إكرامنا للكريم وتملكنا له بهذا الكرم حقيقة واقعة في المكرم والمكرّم، وإن أكرمنا اللئيم على احتمال وقوعه– تفضي إلى تمرده وإعراضه، لأنه بلا نفس كريمة[89].

ويكثر في شعر المتنبي استعمال (إذا) من غير استعمال لها أو لاحقة كما في البيت السابق، وقد يأتي ب إذا مسبوقة ب (ما) الزائدة كقوله:

وإذا الشبح قال أفّ نما مل حياة وإنما الضعف ملاّ[90].

---

[87]: هادي نهر، مع المتنبي، ص151 (المرجع السابق).

[88]: المرجع السابق، ص152.

[89]:هادي نهر: المرجع السابق، ص153.

[90]: أبو الطيب المتنبي: الديوان، ص190.

أو متبوعة ب "ما" الزائدة كقوله:

وإذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت أن الموت ضرب من القتل([91]).

ولم يرد غير بيت واحد استعمل الشاعر فيه (لم) بعد زيادة (ما) على (إذا) وهو قوله:

وآنف من أخي لأبي وأمي إذا لم أجده من الكرام.([92])

وقد ترد (إذا) في تضاعيف البيت كقوله:

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصالِ([93]).

وينحصر مجيء الاسم بعد (إذا) الشرطية في شعر المتنبي، فلم يرد هذا البناء إلا في بيت واحد هو قوله:

وإذا الشيخ قال أف فما مل حياة وإنما الضعف ملا.

أما (إن) فكثيرة في شعر المتنبي لكنها لا تبلغ درجة (إذا) في كثرة شيوعها في شعره، وقد وردت أمثلتها مع المضارع والماضي على حد سواء من ذلك قوله:

الظلم من شيم النفوس فإن نجد ذا عفة قليلة لا يظلم.

وقوله:

ودهر ناسئة ناس صغارُ وإن كانت لهم جثث ضخام.

ومن أدوات الشرط التي استعملها المتنبي (كلما) الشرطية غير الجازمة الدالة على التكرار والمثلوة بالفعل الماضي، كقوله:

---

[91]: الديوان: المصدر نفسه، 274.

[92]: الديوان: المصدر نفسه، ص222.

[93]: أبو الطيب المتنبي، المصدر السابق، 175.

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة لسانا([94]).

ثانيا: استعمال صيغة التفضيل:

صيغة التفضيل كثيرة الورود في شعر المتنبي عموما وفي شعر الحكمي خصوصا، لما فيهما من معنى الوصف القادر على استيعاب خيال الشعر، والمبالغة في الوصف، زد على ذلك ما في صيغة التفضيل من الدلالة على التجريد، وهو تجريد الصفة من موصوفين: في المشبه والمشبه به، وإبعادهما عن الصيغة الحقيقية المقترنة في ذهن السامع، وبذلك تبتعد عن الخيال الذي هو أساس الشعر.([95])

وتدخل حين إذ في المعنى المطلق الذي هو أساس الحكمة، وبذلك وجدت الحكمة في هذه الصيغة ما تبتغيه من حقيقة وخيال، أو حقيقة تقترب إلى الخيال. وترتمي فيه لما فيه من مبالغة في الوصف وخيال يقترب من الحقيقة حيث تصل إلى نهاية إلى نهاية يسلم بها العقل، فتصبح قيمة أخلاقية، والقيم كما هو معلوم نوعان:

– قيم جمالية أساسها اللذة والنشوة.

– وقيم أخلاقية وأساسها التفضيل.

وكلا النوعين لا يستند إلى العقل، وبذلك ارتقى شعر الحكمة عند المتنبي من الاستناد على العقل استنادا مطلقا إلى التغذي بالعاطفة، ولهذا جاءت أبياته في الحكمة مشبهة بعاطفة يحسها القارئ بنشوة وتسليم وإيمان.([96])

وقد وردت صيغة التفضيل في شعر الحكمة عند المتنبي على صورة كثيرة مضافة إلى نكرة مرة، وإلى معرفة أخرى، أو غير مضافة إلى شيء ثالث، يقول:

---

[94]: أبو الطيب المتنبي: المرجع نفسه، ص253.

[95]: شقيق جبري: المشي مالئ الدنيا وشاغل الناس، دمشق، 1930، ص1339-149.

[96]: الحمداني هاذي: البناء العتبي لشعر الحكمة عند المتنبي، (بحث مخطط)، ص8.

انني أصيد البزاة ولكن أجل النجوم لا أصطاده[97]

فأحسن وجه في الورى وجه محسن وأيمن كف فبهم كف منهم.[98]

ولذيذ الحياة أنفس في ال الأنفس وأشهى من أن يمل وأحلى.[99]

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب[100]

لشر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الإنسان ما يصم[101]

ثالثا: التركيب اللغوي:

يشبع التركيب الاسمي في شعر المتنبي على حساب التركيب الفعلي ويبدو هذا الشيوع واضحا في شعر الحكمة بخاصة، وذلك أن الجملة الاسمية تؤدي وظيفة دلالية محددة هي تقرير الإخبار والحقائق والأفكار التي هي جوهر الحكمة وخلاصتها، وبأقل ما يمكن من المفردات لا سيما إذا كانت الجملة الاسمية بسيطة لا مركبة، كما هو في أبيات المتنبي التي يقدر فيهما أن:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو الأول، وهي المحل الثاني[102]

بتعاقب ثلاث جمل اسمية بسيطة كل منها يقرر حقيقة مقبولة.

فالموت أعذر لي والصبر أجمل لي والبر أوسع، والدنيا لمن غلب [103]

ويحرص المتنبي دائما على الموازنة بين الفواصل القابعة بين الجمل بشكل منظم ودقيق، وغالبا ما تقع الموازنة بين شطري البيت المعين وهي "عنده أحب الموازنات"[104]،

---

[97]: الديوان، ص203.

[98]: المصدر نفسه، ص87.

[99]: المصدر نفسه، ص190.

[100]: المصدر نفسه، ص36.

[101]: المصدر نفسه، ص222.

[102]: المصدر نفسه، ص262.

[103]: المصدر نفسه، ص23.

يقول:

ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتني[105]

وكل امرئ يولي الجميل وحبب كل مكان ينبت العز طيب[106]

وقد لا يتعجل الخبر قبل ان يثبت أساس المبتدأ ويرتاح إليه كما يقتضيه ذوقه وحسه الموسيقي العالي، يقول وفد وصف المضاف إليه:

كل حليم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام

وقليل ما يكون المبتدأ هو نفسه في اللفظ عند موازنة البيت:

ولأسى قبل فرقة الروح والأسى لا يكون بعد الفراق[107]

ويلجأ المتنبي أحيانا إلى تقوية بناء الجملة الاسمية بإدخال (أن) عليها أو (إنما) يقول:

وإن الماء يجري من جماد وإن النار تخرج من زناد[108]

والمتنبي مولع باستعمال (ما) على أنواعها، ولعل (ما) النافية أكثر ورودا من غيرها في شعر الحكمة، لأن الحقيقة قد تقرر ضمن إطار النفي كما تقرر ضمن إطار الاثبات، يقول:

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل[109]

وتكون حقيقة المعنى أكثر إقرارا حين ينقضي النفي ب (إلا) كما في ول المتنبي:

وما الخيل إلا كالصديق قليله وإن كثرت في عين من لا يجرب[110]

---

[104]: الحمداني هادي، البناء الخفي لشعر الحكمة عند المتنبي (بحث مخطوط) ص11.

[105]: الديوان: ص 267.

[106]: المرجع نفسه، 35.

[107]: المرجع نفسه: ص162.

[108]: المرجع نفسه، ص70.

[109]: المصدر نفسه: ص178.

والذي يستعرض يستعرض أبيات الحكمة في شعر المتنبي يجد عددا منها غير قليل أسهمت (رب) في تأسيسها، ومن ذلك يقول:

رب أمر أتاك لا تحمد الفعا ل فيه ولا تحمد الأفعال[111]

إن وجود (رب) في أول أبيات الحكمة يمنح بناء البيت جزالة وقوة هي انعكاسه لما فيها من تشديد ، ودلالتها على القوة أو الكثرة بمنح الشاعر سيلا للتعبير على ما يريد ان تعبر عنه كثرة في الوجود أو قلة.

والملحوظ ان شعر الحكمة عند المتنبي يخلو من اي لوم من ألوان المحسنات البديعية إلا فيما ندر، ولعل المقابلة أبرز هذه الألوان إذ يحتاجها الشاعر أحيانا لموازنة البيت كقوله:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وما التأنيث لأسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال.

---

[110]: المصدر نفسه: ص35.

[111]: المصدر نفسه: ص191.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال غوصنا في ثنايا شعر المتنبي، وجدناه شعرا مفعما بالتجربة الصادقة والاحساس المرهف والعبارة الجميلة، وبتفتيشنا في طياته، وجدنا حكما متناثرة في أبياته في أبياته توحي بنبوعها عن عقل متفلسف ورجل حكيم استطاع أن يستفيد من تجارب الحياة ويسخر فصاحة لسانه وطلاقته ليصيغها في قالب فني جميل، فيقدمها على طبق من ذهب لمن حوله فينتفعوا بها، فكان بها معبرا عن لسان حاله وغيره، فقد علجت حكمه أطراف من علل الانسانية مبينة دواءها، كما أدلى بالكثير من آرائه التي تزيد من خبرتها بالإنسان وطباعه، مما أتاح لهذه الحكم ان تجد صداها بين الناس وتخلق لنفسها مكانا في نفوسهم، فنظرا لما حملته من قيم سامية، تحولت إلى حكم خالدة خرقت حدود الزمان والمكانن وتناقلتها ولاتزال تتناقلها الاجيال في كل زمان ومكان.

وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه الت نرجوا أن تكون محفزا لدراسات اخرى مماثلة. ولله التوفيق.

الفهرس

الفهرس:

مقدمة

مدخل

حياة المتنبي: 5–8.

عصره: 9–14.

الفصل الاول

1–مفهوم الحكمة: 15–17.

لغة

اصطلاحا

2–مفاهيم أخرى للحكمة:18–19.

- في النثر.
- في الشعر.

3–مفهوم الحكمة عند المتنبي: 20–21.

4–شعر الحكمة عند المتنبي (دراسة احصائية) 22–35.

الفصل الثاني:

1–تجليات الحكمة في شعر المتنبي (دراسة احصائية) 36–48.

2–آراء ختامية في حكم المتنبي: 49–57.

خاتمة: 58.

قائمة المصادر والمراجع: 59–60.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1) المصادر:

- أبو الطيب أحمد بن الحسين "الديوان"، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980.

2) المراجع:

1) موهوب مصطفاوي "المثالية في الشعر العربي" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
2) ابن رشيق القيرواني "العمدة" مطبعة السعادة، مصر، 1963.
3) البديعي "الصبح المني"دار المعارف، القاهرة، 1963.
4) ابن خايكان "وفايات الأعياء" دار الثقافة، بيروت.
5) ناصف البازجي "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت للطباعة والنشر، 1981.
6) مصطفى سيني "شرح ديوان أبي الطيب المتنبي" دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
7) عبد الفتاح نافع "الشعر العباسي قضايا وظواهر" دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.
8) هادي نهر "مع المتنبي شعر الحماسة والحكمة" عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
9) محمد كامل "الادب العربي في العصر العباسي الثاني، مصر، 1964.
10) عبد السلام نور الدين "المتنبي وسقوط الحضارة، بحوث مصرجان المتنبي بغداد، 1977.
11) ابن منظور "لسان العرب دار صبح أديسوفت، بيروت، 2006.
12) محمد اسماعيل ابراهم "معجم الالفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي.

13) الجوهري "الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلالي، دار الحضارة العربية، بيروت.
14) رابح بونار ومجموعة من الأساتذة "المختار في الادب والنصوص والبلاغة والتراجم الادبية، الجزائر، منشورا المعهد التربوي الوطني، 1972.
15) محمد بن عبد الرمن شعيب "المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث" مصر، دار المعارف.
16) أنيس المقدسي "أمراء الشعر العربي في العصر العباسي" دار العلم للملايين، بيروت، 1969.
17) عبد الوهاب عزام "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، دار المعارف، مصر، 1968.
18) زكي المحاسن "المتنبي" دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
19) إنعام الجندي "دراسات في الأدب العربي" دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1967.